ظاهرة العنف في الوسط المدرسي وأهم المقاربات المفسرة لها
المقاربات الوظيفية والتفاعلية والصراعية نموذجا

The phenomenon of violence in school and the main approaches explaining it .
The functional, interactive and conlifctual approaches as models

الباحث: محمد سليماني
slimanimohamed471@gmail.com
المغرب

تاريخ الإرسال: 2019/07/16 تاريخ القبول: 2019/12/24 تاريخ النشر: 2019/12/31

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، وذلك بتسليط الضوء على مفهوم العنف بصفة عامة ومفهوم العنف المدرسي بصفة خاصة، وتحديد أشكال العنف في الأوساط التربوية والتعليمية، وكذلك الوقوف على أهم المقاربات السوسيولوجية التي تناولت الظاهرة في سوسيولوجيا التربية، مع توضيح العوامل الاجتماعية التي فسرت بها كل مقاربة ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، والكشف عن أوجه الاختلاف بينها، كما رصدت بعض المقاربات السوسيولوجية المفسرة لظاهرة العنف في المدرسة العربية.

الكلمات المفتاحية: المقاربة السوسيولوجية، العنف، العنف المدرسي، المدرسة، التنشئة الاجتماعية.

Abstract:*This study aims to address the phenomenon of violence in schools, explaining to concept of violence in general, and then address this cocept more specifically in school,and identify the forms of violence in the educational community.*

In addition we have studied the most important sociological approaches of the phenomenon in sociology of educatin, with an explantion of the social factors in which each sociological approach has been interpreted the phenomenon of violence in school, and to identify the differences betwen them. The study also based on explantion of the phenomenon of violence iv the Arab school.
***Key words** : the sociological approach, violence, school violence, school, sociology of education, sociolizition.*

كما هو معلوم، تحتل المدرسة العمومية مكانة اجتماعية بارزة في المجتمعات المعاصرة، باعتبارها مؤسسة التنشئة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة، تنهض بالعديد من الوظائف الاجتماعية والتربوية والتعليمية، فتكسب الفرد القيم الثقافية للمجتمع الذي ينتمي إليه، وتكسبه مهارات تمكنه من الاندماج الاجتماعي مستقبلا، كما تقوم المدرسة في إطار الوظيفة التربوية المسندة إليها بتعديل السلوكات الخاطئة التي تصدر عن المتعلمين، دون أن نغفل دورها المهم في تلقينهم مجموعة من المبادئ الأخلاقية العمومية التي يجب عليهم أن يسلكوها، إذ أوكلت إلى المدرسة في المجتمعات المتقدمة الحداثية مسؤولية بناء السلوك القويم للأفراد وصقل شخصيتهم الاجتماعية والثقافية.

بيد أن المدرسة العمومية في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي أصبحت تشهدها المجتمعات الإنسانية في وقتنا الراهن، أصبحت تعاني من العديد من المشكلات التربوية والاجتماعية، مما أثر سلبا على أداء وظائفها التربوية والاجتماعية، وعلى سعيها الدؤوب إلى تحقيق أهدافها التعليمية، وفي هذا الإطار تعتبر ظاهرة العنف من المشكلات

الحادة والمزمنة التي أصبحت تعاني منها معظم الفضاءات المدرسية، ومست هذه الظاهرة في استفحالها مختلف الأطوار التربوية والمستويات التعليمية.

لقد ظهرت أنماط وأشكال جديدة من العنف في الوسط المدرسي أهمها العنف الرمزي، العنف الجسدي، العنف الثقافي، العنف اللفظي....، وتعدد الفاعلون والممارسون لهذا العنف: المتعلمون، التربويون، الإداريون، المدرسون. في حين كان هذا العنف سابقا حسب معظم الدراسات يأخذ في الغالب اتجاها واحدا، أي من المدرس المتسلط إلى المتعلم، وبالتالي كان المتعلم هو المفعول به، ونادرا ما كان يمارس المتعلم/ التلميذ العنف في الاتجاه المعاكس، بينما اليوم تشير البحوث والدراسات إلى تعدد وتشابك الأطراف الممارسة للعنف في الوسط المدرسي، إذ أصبح المتعلم أحد أبرز هذه الأطراف الفاعلة الممارسة لهذا العنف، إذ صار يمارس عنفا ضد مدرسه على غرار عنفه ضد زملائه وضد أعضاء طاقم مؤسسته الإداري والتربوي، وهذا ما استدعى البحث والتقصي عن الجذور المشكلة لهذه الظاهرة، ومحاولة إعطاء تفسيرات عقلانية وموضوعية لها، بغية الوصول إلى حلول لها تواكب شتى التحولات التي أصبحت تعرفها المجتمعات الإنسانية في الوقت المعاصر.

إن تجذر المدرسة كفضاء ومؤسسة اجتماعية في الفضاء المجتمعي يضعها في وضعية تأثير وتأثر دائمين، فالمدرسة نسق اجتماعي فرعي في حالة تبادلية مع بقية الأنساق الاجتماعية الفرعية الأخرى المشكلة للبناء الاجتماعي الكلي، فإذا عرفت الأنساق الفرعية القريبة منه حالة تغير اجتماعي أو اختلال وظيفي، فإن هذا التغير يتسرب إلى النسق المدرسي بشكل آلي، وأول المؤسسات الاجتماعية التي لها صلة اجتماعية قريبة من مؤسسة المدرسة هي مؤسسة الأسرة، ونحن نعلم طبعا حجم التغيرات التي عرفتها الأسرة في المجتمعات الراهنة، حيث تبدلت فيها الأدوار والوظائف وقلبت رأسا على عقب، وتقلصت معدلات التواصل وأشكال الحوار بين أفرادها بسبب طغيان التقنية، هذه الأخيرة التي أتلفت العلاقات الاجتماعية، فأصبح العنف الأسري من الظواهر التي صارت من نتائجها.

وهكذا ومع بقية الأنساق الفرعية الأخرى، كدور النسق الإعلامي في إيصال مشاهد العنف وانتشارها على أوسع نطاق، كذا دور النسق الاقتصادي في العنف الاجتماعي من خلال الإقصاء الاجتماعي للأفراد من سوق العمل وتفاقم ظاهرة البطالة، وانعكاسات ذلك بشكل سلبي على الحياة الاجتماعية للمتعلمين، وعليه فالعنف في الوسط المدرسي يتخذ من الفضاء المدرسي مكان جغرافي للممارسة، لكنه من الناحية السوسيوليوجية ربما تكون تمثلاته وتصوراته بنيت واكتملت في أمكنة جغرافية بعيدة عن جغرافية المدرسة.

وعلى ضوء ذلك، وفي إطار البحث عن تفسيرات عقلانية لظاهرة العنف في الوسط المدرسي، نجد العديد من المقاربات العلمية التي تناولت الظاهرة من زوايا نظر معرفية مختلفة، كعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي وعلوم التربية، ونجد من أبرز هذه المقاربات المقاربات السوسيولوجية، إذ حاولت سوسيولوجيا التربية أن تقدم تفسيرات موضوعية لهذه الظاهرة انطلاقا من المحددات والشروط الاجتماعية لتشكل ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، ونقف في هذا الصدد على العديد من المقاربات السوسيولوجية التربوية، إذ تركز كل مقاربة على أسس منهجية ومعطيات واقعية في تفسيرها لظاهرة العنف في الوسط المدرسي، وللإحاطة بكل مناحي هذه الظاهرة الدخيلة على المدرسة العمومية، نعتمد في دراستنا هاته على محورين أساسين:

المحور الأول: تعريف مفهوم العنف، والعنف في الوسط المدرسي.

المحور الثاني: إبراز أهم المقاربات التي تناولت ظاهرة العنف في الوسط المدرسي وطرق تفسيرها ومعالجتها لهذه الظاهرة.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كون ظاهرة العنف في الوسط المدرسي أصبحت أكثر استفحالا وانتشارا بشكل ملفت للنظر في مختلف المؤسسات التربوية في المجتمعات المعاصرة، مما استلزم واستدعى من كل الفاعلين التربيون والسوسيولوجيون البحث في إثراء المقاربات التنظيرية لهذه الظاهرة، ومحاولة إيجاد تفسيرات سوسيولوجية لها ومقاربتها في سياقاتها الاجتماعية بهدف التخفيف من حدتها على الأقل على المدى المتوسط.

المحور الأول: تعريف مفهوم العنف، والعنف في الوسط المدرسي.

أ– تعريف مفهوم العنف: يعد مفهوم العنف من أكثر المفاهيم تداولا على الألسن في زماننا المعاصر،حيث أصبح هذا المفهوم حاليا يشغل مساحات واسعة في خطابات العلوم الاجتماعية المعاصرة نظرا لجملة من العوامل الاجتماعية التي أدت إلى انتشاره وذيع صيته في أوساط المجمع، فالعنف في أبسط مدلولاته يقصد به " **الإيذاء باليد أو اللسان أو الفعل أو الكلمة في الحقل التصادمي مع الآخر... إن العنف سلوك إيذائي قوامه إنكار الآخر كقيمة مماثلة للأنا أو نحن كقيمة تستحق الحياة والاحترام، ومرتكزه استبعاد الآخر عن حلبة التغالب إما بخفضه إلى تابع، وإما بنفيه خارج الساحة (أي إخراجه من اللعبة)، وإما بتصفيته معنويا أو جسديا**"(خليل أحمد خليل، 1984)، ويشير الأصل اللغوي لكلمة العنف في اللغة اللاتينية إلى استخدام القوة لتحقيق هدف ما، فكلمة "العنف" مشتقة من الكلمة اللاتينية (vis) وهو ما يعني القوة والسلطة والعنف واستخدام القوة المادية، وقلب الطابع الأساسي لشيء ما، كما تشير كلمة (vis) اللاتينية أيضا إلى فكرة القوة، وبشكل خاص القوة الحيوية(Yves Montoya, Hervé Benoit, 2011).

كما ترتبط إشكالية تحديد مفهوم العنف بالمعايير التي يعتمدها كل باحث في تصنيف سلوك ما على أنه يدخل في دائرة العنف أم لا، فلتحديد الوقائع على أنها عنيفة أم لا، فيجب أن يكون المرء قد حدد مرجعية معيارية، ومع ذلك فالعنف يختلف وفقا للأفراد والأزمنة والأماكن والهياكل الاجتماعية(Joing Isabelle, 2010)، دون أن نغفل أن هذه المعايير تحدها في الغالب الأعم المجتمعات الإنسانية، بالإضافة إلى المؤسسات والهيئات الدولية، وكذلك المتطلبات الدراسية لكل باحث، وكذا موقفه من نمط وشكل العنف موضوع الدراسة.

لمن هذا المفهوم أصبح أكثر اتساعا مع السوسيولوجي الغربي "**بورديو**" سواء في دلالاته الإيحائية أو عناصره البنائية، إذ نقل مفهوم العنف من العلم الحسي المتعلق بالإيذاء الجسدي إلى العنف غير المرئي الذي يكون مخفي ويتجلى في شكل رمزي، وأصبح بالتالي عنف غير مرئي تسهم فيه المؤسسات التربوية في تثبيته وتكريسه، وذلك من خلال استخدام الدلالات والرموز والمعاني للسيطرة على الآخر وفرض الهيمنة عليه، ويأخذ هذا النوع من العنف صورة رمزية خفية ملتبسة تمكن ممارسها من الوصول إلى غايته وتحقيق ما يصبو إليه من سيطرة وهيمنة دون اللجوء إلى القوة الواضحة والمعلنة، ويتغلغل هذا النوع من العنف في مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية(الوطفة علي أسعد، 2008)

، وأصبح اليوم الحديث بشكل كبير عن العنف الاجتماعي الذي يمارس داخل المجتمع، ويتعلق الأمر بنوع من الإقصاء والإكراهات الاجتماعية(هلالي محمد- بعزيز لزرق، 2009).

ب- مفهوم العنف في الوسط المدرسي: إذا كان العنف كما أشرنا سابقا على أنه كل استخدام للقوة أو غيرها من الوسائل من طرف الأفراد لتحقيق غرض ما، فإن العنف يتشكل بحسب الوسط الاجتماعي، إذ نجد من بين أنواع العنف الممارس في المجتمعات المعاصرة " **العنف في الوسط المدرسي**"، فمسائلة العنف في المدرسة يتمثل في إحساس مختلف الفاعلين سواء التربويون أو غيرهم بتطور هذه الظاهرة، وإن المقاربة الفينومينولوجية لظواهر العنف المدرسي تبين أن هناك شكل من العنف غير المرئي، كدور المناخ السلبي الذي ينتشر في بعض المؤسسات المدرسية في نمو وتغلغل ظاهرة العنف(Joing Isabelle, 2010).

ويذهب بورديو بعيدا في معالجة ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، حينما يعتبر أن الفعل البيداغوجي أيا كانت طبيعته وموضوعه نوعا من العنف في الوسط المدرسي، ونستشف ذلك بوضوح في قوله: " **يتعين النشاط التربوي موضوعيا في حيثيته الأولى كعنف رمزي، وهي كون علاقات القوة بين الجامعات والطبقات التي تتألف منها التشكيلة الاجتماعية تساهم في نمو العنف التعسفي باعتباره شرطا لانعقاد علاقات الاتصال التربوي، أي لفرض وترسيخ نموذج ثقافي تعسفي وفق نمط تعسفي من الفرض والترسيخ (التربية)**"(بورديو بيار، 1994).

كما ينقسم العنف في المدرسة إلى فئات متنوعة، إذ يتحدث التلاميذ المراهقون عن ضربات وإهانات بشكل أساسي، ويتحدث المدرسون عن حوادث نوعا ما عنيفة مع طلابهم وأهاليهم، كما يتحدث التربويون عن العنف المؤسساتي كالعقاب الجسدي الذي يحصل داخل المدارس وفي الممارسات المهنية(رايو، باتريك- إغنيس، فان زانتن، 2016).

المحور الثاني: إبراز أهم المقاربات التي تناولت ظاهرة العنف في الوسط المدرسي وطرق تفسيرها ومعالجتها لهذه الظاهرة.

تعد ظاهرة العنف في الوسط المدرسي من أبرز المشكلات السوسيوتربوية وأعقدها على الإطلاق، ولاسيما أنها تمس الجانب السلوكي للفاعلين التربويين في الوسط المدرسي، وفي ظل تعقد هذه الظاهرة وتعدد مسبباتها وأيضا تعدد العوامل الاجتماعية المؤدية لانتشارها، تباينت المقاربات المفسرة لها، حيث اختلفت باختلاف ميادين التخصص وحقول المعارف الدارسة للعنف في الوسط المدرسي، إذ " **ينشأ العنف في المدرسة بسبب العديد من العوامل، وله أوجه مختلفة بحسب السياقات الثقافية، وكذلك العوامل الاجتماعية والاقتصادية والحياة الاجتماعية للتلميذ والبيئة المدرسية، إن مفهوم العنف كفعل أو كبيئة محرضة على العنف، يختلف بحسب الثقافات والمجتمعات، وأيا كان السياق الثقافي والسوسيواقتصادي الذي يوجد فيه المدرسة، فأن العنف يأخذ أشكالا جسدية ونفسية**" . (Guide l'intention des enseignants, 2012)

وفي هذا الصدد، تشابكت وتعددت وجهات النظر حول هذه الظاهرة، ومن المهم الإشارة هنا إلى الأهمية العلمية للمدخل السوسيولوجي في تفسير ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، وذلك لعدة اعتبارات معرفية أهمها شمولية الرؤية السوسيولوجية في مقاربة الظواهر الاجتماعية، وهو ما يبرز لنا التوجه الذي يتميز به حقل السوسيولوجيا في مناولته

الظواهر السوسيولوجية عامة والظواهر السوسيوتربوية بصفة خاصة، وتنطلق محاولة تحليلي لظاهرة العنف في الوسط المدرسي من المقاربات السوسيولوجية المفسرة له، وذلك باستقراء الدلالات والمضامين السوسيولوجية لمفهوم العنف لدى أصحاب كل مقاربة، وتحديدهم لطبيعة العوامل الاجتماعية المسببة لهذه الظاهرة في الأوساط المدرسية، ومن أهم وأبرز هذه المقاربات:

1- المقاربة الوظيفية لظاهرة العنف في الوسط المدرسي:

تعتبر المقاربة الوظيفية للظواهر الاجتماعية من أهم المقاربات السوسيولوجية في علم الاجتماع، وتنتمي المقاربة الوظيفية إلى النوع المعرفي الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية في إطارها الكلي، ويرى أصحاب هذه المقاربة أن المجتمع عبارة عن مجموعة من الأنساق الاجتماعية والتي تقع في حالة تبادلية وتكاملية فيما بينها، ففي تصور **"بارسونز"** فالنسق الاجتماعي يتمثل في شبكة من الأنساق الفرعية المستقرة التفاعل، وتساهم التنشئة الاجتماعية في تحقيق التوازن بينها، والمدرسة تسعى في النهاية حسب هذا التصور إلى تلبية مجموعة من الحاجات الاجتماعية، ولا تتوقف عند نقل المعارف والمهارات، ولكن تقوم بالإعداد غير الرسمي للأدوار الاجتماعية في المستقبل(Nathalie Bulle, 2005).

يتبين إذن أن المقاربة الوظيفية لظاهرة العنف في الوسط المدرسي لا تخرج عن الرؤية النسقية للوظائف والأدوار، إذ العنف أساسه فكرة انعكاس الأجزاء في كل واحد، والاعتماد المتبادل بين العناصر المختلفة للمجتمع، لذلك فإن أي تغيير في الجزء يتبعه تغيير في الكل، وقد تبنى هذا الاتجاه العديد من علماء التربية الغربيين منهم: روبرت ميرتون (Merton)، ديفيز (Davis)، بارسونز (Barson)، كروز (Cruese)، وآخرون(بركات، علي،2011).

لقد تم النظر في هذه المقاربة إلى ظاهرة العنف من زاوية الانحراف الاجتماعي، إذ العنف ترجمة فعلية لظاهرة الانحراف القيمي، فالأعمال الأولى في هذا المجال نجدها ضمن نظريات الانحراف الاجتماعي ذات التوجيه الوظيفي، وتقوم هذه النظرية حسب علماء الاجتماع والتربية البريطانيين والأمريكيين على فرضية انحراف الشباب في الوسط المجتمعي، والذي يظهر بجلاء في المؤسسات المدرسية، مما يظهر خللا كبيرا في النظام المدرس Peignard (Emmanuel, Roussier-Fusco Elena, Henriot-Vanzanten, 1998)، وترجع أسباب هذا الانحراف في تصور الوظيفيين إلى الخلل في بناء القيم لدى الأفرد، واعتبار التحولات الهيكلية للأسرة أهم أسباب تفسير العنف المدرسي، إذ السلوكيات العنيفة لظاهرة العنف هي نتاج مادي وعلائقي للأسرة وأهمها (انفصال الوالدين، غياب العلاقات العاطفية بين أفرادها، عدم وجود أخوة، التعليم أكثر صرامة أو أكثر تراخيا، غياب الرقابة، غياب الآباء عن أنشطة أبنائهم، القلق...، وهي كلها عوامل تسهم في بناء شخصية عنيفة (Cecile Carra, 2009).

والعنف في الوسط المدرسي ما هو إلا تجلي للاختلالات الوظيفية التي أصابي عملية التنشئة الاجتماعية والتعليمية للتلاميذ، وتبدو الوظيفة التكاملية للنسق الثقافي والاجتماعي على درجة كبيرة من الأهمية في النظرية الوظيفية، ويتحقق ذلك من خلال تعزيز القيم والسلوك المقبول اجتماعيا، وهي وظائف مألوفة للكنيسة والمدرسة، وتخترق قيم النسق بأكمله، وهي أيضا أساس الإجماع الاجتماعي الذي يدعم النظام الاجتماعي(دونال، مايك، 2002).

كما تبرز أيضا في ميدان الدراسات السوسيولوجية، النظرية البنائية الوظيفية كأحد أهم المداخل المفسرة للواقع الاجتماعي على مستوى اجتماعي كلي ماكرو سوسيولوجي، حيث تعتبر أن البناء الاجتماعي المتمثل في المؤسسة المدرسية قد ينتج أنماطا سلوكية تعتبر وظائف ولكنها منحرفة(فوزي، أحمد بن دريدي، 2007).

وعلى هذا الأساس، فإن جل السلوك الذي نسميه سلوكا منحرفا يعكس انحرافا في القيم الاجتماعية، ومن ثم فإن العنف هو نتاج لظروف اجتماعية تتمثل في الأوضاع العائلية وظروف العمل وضغوطه وحالات البطالة والتفرقة على أشكالها المختلفة، وغير ذلك من عوامل اجتماعية واقتصادية(رشوان، حسين عبد الحميد، 2001).

2- المقاربة التفاعلية الرمزية لظاهرة العنف في الوسط المدرسي:

ينطلق أصحاب المنظور التفاعلي في دراستهم للنظام التعليمي من جزئية الفصل الدراسي، فالعلاقات داخل الفصل الدراسي بين المتعلمين والمدرسين علاقات استراتيجية وحاسمة، لأنه خلال الفصل يمكن التفاوض عن الحقيقة، حيث يدرك التلاميذ حقيقة أنهم "ماهرين" أو "أغبياء" أو "كسالى"، وفي ضوء هذه المقولات يتفاعل التلاميذ والمدرسون بعضهم مع بعض، ومن ثم ينجزون في النهاية "نجاحا" أو "فشلا" تعليميا، وعليه يصبح من الضروري كما يؤكد أصحاب منظور التفاعل أن نقوم بدراسة الكيفية التي تتم بالعملية، والطرق التي يعطي بها المدرسون والمتعلمون معنى للمواقف التعليمية(حمدي، علي أحمد، 2003).

ويركز أصحاب هذه المقاربة في تحليلاتهم على الصورة الفعلية التي توجد داخل المؤسسات التعليمية، وتحليل العلاقة بين التلاميذ ونوعية هذه المؤسسات، بالإضافة إلى دراسة العلاقة بين التلاميذ والمدرسين وإدارتهم التعليمية، و" **تفسير السلوك الدراسي وانعكاساته على عمليات التنشئة الاجتماعية، ومستويات الاستيعاب ودرجات الذكاء، وعلاقتها بنوعية المناهج والمقررات الدراسية والفئات العمرية، وكذلك المشكلات الأسرية ونوعية البناء الطبقي والأسري، علاوة على تحليل مجموعة من العوامل الداخلية التي تشكل أنماط السلوك، ونوعية الحياة المدرسية، والثقافات العامة والفرعية داخل المدرسة، وتأثيرا واتجاهات وميول المدرسين نحو تلاميذهم، ومستوى إعداد المدرسين ونوعية مهارتهما التعليمية والتدريسية...، بالإضافة إلى العوامل الأخرى التي تشكل الحياة التعليمية والتربوية داخل الفصول والأبنية الدراسية** "(عبد الله، محمد عبد الرحمان(دون سنة).

كما يرى أصحاب هذه المقاربة التفاعلية الرمزية أيضا أن ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، هي نتاج لعملية التعلم الاجتماعي، فمع التنشئة الاجتماعية المبكرة يتعلم الأطفال العنف سواء من الآباء أو الأقارب أو الأصدقاء، وبملاحظتهم للعالم وللحياة الاجتماعية من حولهم يبدو العنف لهم وكأنه أداة ضرورية للبقاء والنجاح، فالأفراد إذن يتعلمون العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أي نوع آخر من أنواع السلوك، والعنف هنا يتم تعلمه داخل المنزل (معتوق جمال، 2012).

إن الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن تكوين شخصية الطفل من النواحي العقلية والأخلاقية والاجتماعية، وقد اهتم العديد من الباحثين بالأسرة لما لها من دور مؤثر وفعال في الانحراف والسلوك العنيف، وذلك لما تحتله الأسرة من أهمية حيوية في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، فعن طريقها تغرس في نفس الصغير خلال سنوات

طفولته المبكرة أنماط ونماذج أفعاله واستجاباته تجاه التفكير والإحساس والقيم والمعايير (السعايدة، جهاد علي، 2014)، وتسهم شبكة العلاقات الاجتماعية التي يقيمها الفرد مع أقرانه في مقاومة القواعد المدرسية، إذ " المناخ العلائقي يسهم في فهم تصورات علاقة التلاميذ مع أقرانهم، وبين التلاميذ مدرسيهم، وهذا المناخ العلائقي يسمح بإنتاج القواعد وإعادة إنتاج القواعد المدرسية (المدرسة والصف) وتطبيقاته من خلال المشاركة Cecile) (Carra, 2009، وتتطور هذه التمثلات البيداغوجية مع تطور المؤسسة (المدرسة) لتستجيب لحاجات المجتمع، مع استقلالية نسبية للمدرسة، وتعطي المعارف المدرسية طرائق جديدة للتفكير، وتعتبر المدرسة أداة رئيسية للتقدم الاجتماعي من أجل التطور نحو المجتمعات العقلانية .

3- المقاربة الصراعية لظاهرة العنف في الوسط المدرسي:

انطلاقا من التحليل الماركسي لظاهرة الصراع الاجتماعية في المجتمعات الحديثة، يرى أصحاب المقاربة الصراعية أن المدرسة تعتبر أحد الأدوات الإيديولوجية التي توظفها الطبقات الاجتماعية البرجوازية لتعيد إنتاج هيمنتها وسيطرتها على باقي الطبقات الاجتماعية في المجتمع، لذلك ينشب العنف في فضاء المدرسة للتعبير عن حالة الاغتراب التي يشعر بها التلاميذ ذووا الأصول الاجتماعية البروليتارية داخل فضائهم المدرسي، وكشكل من أشكال المقاومة الاجتماعية لحالة تزييف الوعي الذي يتعرضون له باستمرار داخل المدرسة، إذ " **المدرسة هي مكان النضال بين الطبقات الاجتماعية المتناقضة، فسلوكيات تلاميذ الطبقة البروليتاريا تعبر عن طبقتهم الاجتماعية، بينما تفرز الطبقة الاجتماعية البرجوازية إيديولوجيتها المهيمنة التي التي تتجه نحو الهيمنة والاستفزاز، فيتولد عن هذا الصراع حالات من العنف المدرسي، معارضة سلبية وإيجابية**"(Debarbieux Eric, Montoya Yves, 1998).

كما نجد العديد من الباحثين المعاصرين الذين طوروا المقاربة السوسيولوجية الصراعية في دراسة ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، من أبرزهم **بيار بورديو** الذي تحدث عنه بشكل مفصل ضمن الحقل المدرسي، إذ انطلق من مقاربته للعنف في الوسط المدرسي من فكرة مفادها أن :" **كل فعل بيداغوجي إنما هو موضوعيا عنف رمزي، على اعتبار أنه فرض بواسطة سلطة اعتباطية لاعتباط ثقافي** "(بورديو، بيار، 2007)، ومن هنا " **يتعبر النشاط التربوي موضوعيا في حيثية أولى عنف رمزي، وهي كون علاقات القوة بين الجماعات والطبقات التي تتألف منها التشكيلة الاجتماعية تؤصل النفوذ التعسفي باعتباره شرطا لانعقاد علاقة الاتصال التربوي، أي لفرض وترسيخ نموذج ثقافي تعسفي وفق نمط تعسفي من الفرض والترسيخ التربوي** "(بورديو، بيار، 1994)، وبهذا المعنى فإن أي نشاط يقوم على العنف الرمزي يتوصل إلى فرض نفسه (أي إلى فرض الجهل بحقيقته الموضوعية بوصفه عنفا) يفترض موضوعيا وجود تفويض للصلاحية(بورديو، بيار، 1994)، أي عملية إضفاء الشرعية على العنف الرمزي، حيث يتم قبوله دون مقاومة وهو ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح تزييف الوعي.

يشير بورديو في نفس السياق، إلى أنه لا تتمع المرجعية التربوية بالسلطة التربوية التي تعطيها القدرة على شرعنة التعسف التربوي الذي ترسخه، إلا ضمن حدود يرسمها هذا التعسف التربوي سواء من حيث نمطها في الفرض (نمط الفرض الشرعي)، أو من حيث تحديدها لما تفرضه وللمؤهلين لفرضه (المربين الشرعيين) ولمن يفرض عليهم (المرسل

عليهم الشرعيين) إنتاج المبادئ الأساسية الخاصة بنموذج التعسف الثقافي الذي تنتجه جماعة أو طبقة بوصفه أهلا لأن ينتج، وذلك بفعل وجودها نفسه أو من خلال تفويض تعطيه هذه الجماعة أو الطبقة لمرجعية معينة يؤمن لها سلطة معاودة إنتاجه(بورديو، بيار، 1994)، وهذا يعني أن ثقافة المؤسسات التربوية ترمز إلى ثقافة الطبقة التي تهيمن، وهي ثقافة غير مبررة منطقيا عندما يتم اختيارها و فرضها بصورة اعتباطية تعسفية(الوطفة علي أسعد، 2008).

وفي هذا الإطار نجد العديد من الباحثين المعاصرين من ربط بين العنف المدرسي والاستبعاد الاجتماعي في المدن المعاصرة، فانطلاقا من التوزيع الجغرافي لظاهرة العنف الحضري، تبين للباحثين أن المدارس التي تقع في المناطق الحضرية المتخلفة تشهد منسوبا عاليا من العنف بالمقارنة مع غيرها من المدارس التي توجد في مناطق حضرية راقية، وبالتالي فأحد المشكلات التي تواجهها المدارس اليوم، تتمثل في إشكال مقاومة النظام المدرسي، التي تصنف في خانة: (قلة الأدب)، وفي نمط من العنف يدخل في رفض التغيب المتكرر، أو ما يعرف بالتسرب المدرسي، لتصبح أكثر تكرارا وتماديا (Payet Jean-Paul, 1998).

وبناءا على هذا، تصبح ظاهرة العنف المدرسي تعبر من جهة على التفاوتات الاجتماعية بين الأفراد المتمدرسين، وتعكس من جهة أخرى أزمة على مستوى الرابط الاجتماعي، إذ " **العنف في الوسط المدرسي هو نتيجة لعدم قدرة المجتمع ومؤسساته في تحديد المعايير المتفق عليها، فضعف الرابط المدرسي يعكس بشكل مباشر ضعف أدوار ووظائف الجهات الفاعلة في المجتمع** "(Marc Barthélémy, 2007).

ويرى أصحاب هذا التوجه في مقاربة ظاهرة العنف في الوسط المدرسي، أن هناك عوامل اجتماعية تغذي هذه الظاهرة، وهي تقع خارج الفضاء المدرسي، خاصة " **ونحن نعلم دور البطالة في انحطاط الحياة الأسرية، إذ كيف لتلميذ يعرف أن والده أو أحد إخوته في حالة بطالة أو في منصب عمل غير دائم أن يتواصل معهم، فينتج عن ذلك تدمير عميق للارتباطات الأسرية** "(Bernard Defrance, 2005)، وبالتالي فالعنف لا علاقة له بالانحراف الأخلاقي، ولا علاقة له باختلال وظيفة النسق التربوي، وإنما يرتبط العنف بظواهر الإقصاء والتهميش الاجتماعيين، الذي تتعرض له العديد من الفئات الاجتماعية داخل المجتمع، من هنا" **تقع المؤسسات الهشة في المناطق الحضرية المتخلفة، والأحياء الفقيرة، وفي المناطق التي تعيش فيها الطبقات الاجتماعية هي التي تعيش صعوبات اقتصادية واجتماعية، لذلك تأخذ هذه الانحرافات المدرسية أشكالا عديدة** "(Payet Jean-Paul, 1998).

كما يرى أصحاب النظرية الصراعية في مقاربتهم لظاهرة العنف في الوسط المدرسي أن له علاقة جندرية، إذ العنف وسيلة بين النوعين (الجنسين)، فهو يعد وسيلة أساسية لفرض سيطرة الرجل على المرأة، وقد أصبح العنف وسيلة أيضا لتأكيد عدم المساواة بين النوعين، وأداة للضغط على المرأة بهدف العودة إلى الأسرة والمنزل، ومن وجهة نظر أصحاب نظرية الصراع يمكن حل مشكلة العنف من خلال إتاحة فرص المساواة بين أفراد المجتمع، وعدم استغلال فئة لأخرى، وإتاحة الفرص للمشاركة العادلة في الثروة والقوة(الخولي، محمود سعيد، 2008).

خاتمة:

يستخلص في نهاية هذه الدراسة بأن العنف هو ظاهرة اجتماعية تغذيها مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية، وتتمظهر في العديد من السلوكيات والممارسات التي تعني في أبسط مدلولاتها توظيف القوة لتحقيق هدف ما، وينقسم إلى عنف فيزيائي وعنف نفسي غير مرئي، ويعد العنف في الوسط المدرسي أحد أشكال العنف الاجتماعي، ويشير إلى مجموعة من الممارسات العنيفة التي تكون المدرسة مسرحا لها، وتعتبر التنشئة الاجتماعية والثقافية من أبرز العوامل المغذية له، فحسب تصورات المقاربة الوظيفية فالعنف في الوسط المدرسي يعبر عن خلل في النسق المدرسي ذاته، كعدم قدرته على أداء أدواره ووظائفه وعدم قدرته على التكيف والتكامل مع بقية الأنساق الاجتماعية المشكلة للبناء الاجتماعي للمجتمع، لكن أصحاب المقاربة التفاعلية يرون أن العنف في الوسط المدرسي يرجع إلى أشكال وأنماط التفاعل الاجتماعي داخل الوسط المدرسي، إذ التفاعل يتم بطريقة حوارية نتيجة توفر قنوات التواصل بين مختلف الفاعلين، وإذا كانت هناك معوقات أو انسداد في قنوات التواصل بين الذوات في الفضاء المدرسي ينتج عنها العنف، فتلجأ بالتالي الذوات الفاعلة إلى العنف كوسيلة للتعبير عن رغباتها وحاجاتها.

أما أصحاب المقاربة الصراعية فيرون أن العنف في الوسط المدرسي يرجع إلى امتداد الصراع الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية من الفضاء المجتمعي إلى الفضاءات المدرسية، وأن المدرسة هي أحد الأدوات الإيديولوجية التي تستخدمها الطبقات الاجتماعية المسيطرة للاستمرار في هيمنتها على الطبقات الفقيرة والعمالية، وعلى هذا الأساس فإن العنف في الوسط المدرسي هو تجلي وتعبير عن اللامساواة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة، ويعبر عن وعي الذات الإنسانية باغترابها داخل المدرسة، وهو ما يحفزها على ممارسة العنف كرد فعل على أشكال الهيمنة التي تتعرض لها.

قائمة الهوامش:

1- بركات، علي(2011)، العوامل المجتمعية للعنف المدرسي، دراسة ميدانية في مدينة دمشق السورية، منشورات الهيئة العامة السورية، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ص. 78.

2- بورديو، بيار(2007)، إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة ماهر تريمش، الطبعة الأولى، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص. 08.

3- بورديو بيار(1994)، العنف الرمزي: بحث في أصول علم الاجتماع، ترجمة جميل ظاهر، الطبعة الأولى، نشر المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بالمغرب، ص. 18.

4- حمدي، علي أحمد(2003)، مقدمة في علم اجتماع التربية، منشورات دار المعرفة الجامعية المصرية، الإسكندرية، مصر، ص. 180.

5- خليل، أحمد خليل(1984)، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، الطبعة الأولى، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ص. 138.

6- الخولي، محمود سعيد(2008)، العنف المدرسي: الأسباب وسبل المواجهة، سلسلة قضايا العنف، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ص. 112.

7- رشوان، حسين عبد الحميد(2001)، العنف والمجتمع: دراسة في علم الاجتماع النفسي والسياسي والاتصالي، نشر مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، ص. 163.

8- دونال، مايك(2002)، نظرية علم الاجتماع: نموذج واحد أو نماذج متعددة"، ترجمة مصطفى خلف عبد الجواد، مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية، مصر، ص. 139.

9- رايو، باتريك- إغنيس، فان زانتن(2016)، التربية في مائة كلمة، ترجمة نهوا عز الدين الكافي، الطبعة الأولى، نشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ص. 99.

10- السعايدة، جهاد علي(2014)، أسباب العنف المدرسي ووسائل الحد منها من وجهة نظر أولياء أمور طلبة المرحلة الأساسية العليا في الأردن: دراسة ميدانية في قضاء عيراويرقا، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، العدد 1، عمان، الأردن، ص. 58.

11- عبد الله، محمد عبد الرحمان(دون سنة)، علم اجتماع التربية: النشأة التطورية، منشورات دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص. 289.

12- فوزي، أحمد بن دريدي(2007)، العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية، منشورات مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص. 50.

13- معتوق جمال(2012)، مدخل إلى سوسيولوجيا العنف، الطبعة الأولى، منشورات دار الكتاب الحديثة، القاهرة، مصر، ص. 207.

14- هلالي محمد- بعزيز لزرق(2009)، العنف، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، المغرب، ص. 43.

15- الوطفة علي أسعد(2008)، العنف والعدوانية في التحليل النفسي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ص. 65.

16- الوطفة علي أسعد(2008)، من الرمز والعنف إلى ممارسة العنف الرمزي، قراءة في الوظيفة البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية، مجلة الشؤون الاجتماعية، العدد. 104، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ص. 23.

17- Bernard Defrance (2005), la violence à l'école, revue de la gendarmerie nationale, Décembre 200, p. 22.

18- Cecile Carra(2009), « pour une approche contextuelle de la violence, le role du climat d'ecole », international journal of violence and Scool, 8 juin 2009, p. 03.

19- Debarbieux Eric, Montoya Yves(1998), la violence à l'école en France : 30 ans de construction sociale de l'objet (1967- 1997), revue française de pédagogie, volume 123, Paris, France, p. 97.

20- Guide l'intention des enseignants(2012), avec la violence à l'école, consulté le site web : www.unesco.org/fr/education.

21- Joing Isabelle(2010),« Violence à l'école, vers une responsabilité fonctionnelle des institutions scolaires, International journal of violence and School, 11 Septembre 2010, p. 35.

22- Marc Barthélémy(2007), les jeunes et le lien social a propos de la violence scolaire, Corps et culture, Numéro 3, 1998, mis en ligne le 24 septembre 2007.

23- Nathalie Bulle(2005), sociologie de l'éducation, Dictionnaire de la pensée sociologique, p. 09.

24- Payet Jean-Paul(1998), la ségrégation scolaire : une perspective sociologique sur la violence à l'école, revue française de pédagogie, volume 123, Paris, France, p. 03.

25- Peignard Emmanuel, Roussier-Fusco Elena, Henriot-Vanzanten(1998), « la violence dans les établissements scolaires britanniques : approches sociologiques, revue française de pédagogie, volume 123, Paris, France, p. 22.

26-Yves Montoya, Hervé Benoit(2011), « Les violences à l'école », La nouvelle revue de l'adaptation et de scolarisation, N° 53, p. 05.